

تَحْذِيرُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَالْإِيْمَانِ مِنْ مَكْرِ ، وَخِدَاعِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ، وَالنِّفَاقِ .

رَدُّ عِلْمِيٍّ عَلَى كِتَابٍ يَحْتَوِي بِهِ الْمُبْتَدِعَةَ عِنْدَنَا - فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - يُرْوَجُونَ لَهُ ؛ لِيُخَادِعُوا بِهِ الْأَعْمَارَ ، وَأَتْبَاعَهُمْ مِنَ الْجَهْلَةِ الرَّعَاعِ .

[الجزء الرابع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْمُرْسَلِينَ ... أَمَّا بَعْدُ :

(مُقَدِّمَةٌ)

في هذه الحلقة -وهي الرابعة- في الرد على كتاب ابن قديش اليافعي اليمني : "مَسَائِلُ فِي الْمَنْهَجِيَّةِ الْعَامَّةِ ؛ فِي الْعَقِيدَةِ ، وَالْفِقْهِ ، وَالسُّلُوكِ ، وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ ، وَالْمَاتَرِيْدِيَّةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ... " ، فنقول ، وبالله التوفيق ،

(٣)

الْبَيَانُ بِأَنَّ مَنْهَجَ السَّلَفِ فِي مَعَانِي صِفَاتِ اللَّهِ بَرِيٌّ مِنَ التَّفْوِيضِ ، وَالتَّأْوِيلِ كُلِّ الْبَرَاءَةِ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَمُتُّ لهُمَا بِأَيِّ صِلَةٍ ، أَوْ عِلَاقَةٍ ، وَبَرِيٌّ -أَيْضًا- مِنْ مَنْهَجِ الْمَجَسِّمَةِ الْمُشَبَّهَةِ ؛ الَّذِي يَدْعِيهِ عَلَيْهِمْ -زُورًا ، وَبُهْتَانًا- أَهْلُ الْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ ،

- وفي هذه الفقرة سنبين فيها :

- ١] منهج السلف باختصار في صفات الله ، وأنه بريء كل البراءة من منهج الأشاعرة ؛ تفويضًا ، وتأويلًا- ، وبريء -أيضًا- من منهج المجسمة المشبهة ،
 - ٢] وسنبين - كذلك - مدى الخيانة العلمية التي اتبعها المؤلف في كتابه آنف الذكر ، عندما سرد جملة من أقوال العلماء يظهر فيها لقراءه أن السلف قائلون بتفويض صفات الله ، وتأويلها ، والحقيقة أنها خلاف ذلك ،
- فَأَمَّا مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ فَهُوَ إِثْبَاتُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ كَمَا جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ ، وَالسَّنَةِ ، إِثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهِ ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ ، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ ، وَالسَّنَةِ مِنْ بَيَانٍ لِلصِّفَاتِ ؛ فَهُوَ مِنْ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ ؛ أَلْفَاظُهُ ، وَمَعَانِيهِ ، لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ ، وَهُوَ أَسُّ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَأَسَاسُهَا ، فَهْمُ يَفْهَمُونَ الْكَلَامَ بِمَعَانِيهِ -فِطْرَةً- ، وَ"اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- إِنَّمَا خَاطَبَهُمْ بِمَا خَاطَبَهُمْ مِنْ الْقُرْآنِ بِمَا يَعْرِفُونَ مِنْ لُغَاتِهِمْ ، وَيَسْتَعْمَلُونَ بَيْنَهُمْ مِنْ مَنْطِقِهِمْ فِي جَمِيعِ آيِهِ ، ... ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ

لو كان معدولاً به عن سبيل لغاتهم ، ومنطقهم كان خارجاً عن معنى الإبانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن ، فقال تعالى ذكره : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء: ١٩٣] ، وأنى يكون مبيناً ما لا يعقله ، ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة ، ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله ؟ وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة ، وينبئ عنه أن العرب كانوا به عالمين ، وهو لها مستبين^(١) .

قَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا } [النساء: ١٧٤] ،
وَقَالَ تَعَالَى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } [المائدة: ١٥] ،
وَقَالَ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧] ،

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : ألم يقل الله تعالى في كتابه : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } [آل عمران: ٥] ، والتي تقتضي أن هناك في القرآن ألفاظاً متشابهة ، لا يعرف معناها إلا الله؟
الجواب : لا يوجد شيء في القرآن -ألبتة- شيء لا يُعرف معناه ، كل له معنى واضح ، بين ، والآية ليست واردة في الألفاظ ، وإنما هي واردة فيما تؤول إليه الأمور ، التي لا يعلمها إلا الله ، وهي غيبات لا يعلم متى تقع إلا هو جل وعلا ؛ كقيام الساعة ، وظهور الدجال ، ونحو ذلك ، أو كصفات من أمور الغيب لا يعلم كيف هي إلا هو سبحانه ، وتعالى ؛ ككيفية صفاته ، جل ، وعلا ،

يَقُولُ ابْنُ قَتِيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٦هـ) : "ولسنا ممن يزعم أنّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم ، وهذا غلط من متأوليه على اللغة ، والمعنى ، ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده ، ويدل به على معنى أراده ، فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره للزمنا للطاعن مقال ، وتعلق علينا بعله ، وهل يجوز لأحد أن يقول : إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم

(١) تفسير الطبري (١/٢٢٦) .

يكن يعرف المتشابهة؟! وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } [آل عمران: ٧] جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته ، فقد علم علياً -رضي الله عنه- التفسير ، ودعا لابن عباس -رضي الله عنه- ، فقال : «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ ، وَفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ» (١) ، ... " (٢) .

وَيَقُولُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٠ هـ) : " فقد تبين بيان الله جل ذكره أن ممَّا أنزلَ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا يُوصلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ إِلَّا ببيانِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك تأويل جميع ما فيه ، من وجوه أمره ، وواجبه ، وندبه ، وإرشاده ، وصنوف نهيته ، ووظائف حقوقه ، وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آية ، ... ، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتأويله ، بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله ، وأنَّ مِنْهُ ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار ؛ وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، ونزول عيسى ابن مريم ، وما أشبه ذلك ؛ فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراتها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه" (٣) ،

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٥١) : " اللأدرية" ؛ الذين يقولون : لا ندري معاني هذه الألفاظ ، ولا ما أريد منها ، ولا ما دلت عليه ، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف ، وهي التي يقول المتأولون إنها أسلم ، ويحتجون عليها بقوله تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } [آل عمران: ٧] ، ويقولون : هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف ، وهو قول أبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم ؛ من السلف ، والخلف ، وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء ، والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ، ولا الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ، بل يقرؤون كلاماً لا يعقلون معناه ، ... وقول هؤلاء -أيضاً- باطل ؛ فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه ، وتفهمه ، وتعقله ، وأخبر أنه

(١) رواه أحمد (٢٣٩٧) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ، ص : (٦٦-٦٧) .

(٣) تفسير الطبري (٦٨/١) .

بيان ، وهدى ، وشفاء لما في الصدور ، وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ومن أعظم الاختلاف اختلاف افتلافهم في باب الصفات ، والقدر ، والأفعال ، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ، ولا هدى ، ولا شفاء ، ولا بيان ... ، وهؤلاء لم يفهموا مراد السلف بقولهم لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ؛ فإن التأويل في عرف السلف المراد به التأويل في مثل قوله تعالى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف: ٥٣] ... فتأويل الكلام الطلبي هو نفس فعل المأمور به ، والمنهي عنه ؛ كما قال ابن عيينة : السنة تأويل الأمر ، والنهي^(١) .

وصفات الله تحمل على الحقيقة ، لا على المجاز ؛ إجماعاً ، وأما الكيفية فلا يعلمها إلا الله ، وما خالف في ذلك إلا أهل الأهواء المبتدعة ،

قَالَ الْإِمَامُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْمُرَبِّبِيُّ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤هـ) : "عال على عرشه - في مجده - بذاته ، وهو دان بعلمه من خلقه ، أحاط علمه بالأمر ، وأنفذ في خلقه سابق المقدور ، وهو الجواد الغفور { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر: ١٩] ، ... ، وبعد ما ذكر جملة من اعتقاد أهل السنة ،

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "هذه مقالات ، وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون ؛ من أئمة الهدى ، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون ؛ قدوة ، ورضى ، وجانبوا التكلف فيما كفوا"^(٢) .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الطَّلَمَنْكِيُّ الْأَنْدَلِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٢٩هـ) : "وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ } [الحديد: ٤] ، ونحو ذلك من القرآن : بأن ذلك علمه ، وأن الله فوق السماوات بذاته ، مستو على عرشه ، كيف شاء ، وقال أهل السنة في قوله : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: ٥] أن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ، لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة ، والجهمية : لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة"^(٣) .

(١) الصواعق المرسله (٣/٩٢٢-٩٢٣) .

(٢) شرح السنة للمزني ، ص : (٧٥-٨٩) .

(٣) العلو ؛ للذهبي ، ص : (٢٦٤) .

وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ : "وقال أهل السنة في قوله : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] أن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة ، لا على المجاز ، فقد قال قوم من المعتزلة ، والجهمية : «لا يجوز أن يسمى الله عزوجل بهذه الأسماء على الحقيقة ، ويسمى بها المخلوق» ، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه ، وأثبتوها لخلقها ؛ فإذا سئلوا : ما حملهم على هذا الزيغ ؟ قالوا : «الإجماع في التسمية يوجب التشبيه» !! قلنا : هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها ؛ لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا تحصل بالتسمية ، وإنما تشبيه الأشياء بأنفسها ، أو بهيئات فيها ؛ كالبياض بالبياض ، والسواد بالسواد ، والطويل بالطويل ، والقصير بالقصير ، ولو كانت الأسماء توجب اشتباها لاشتبهت الأشياء كلها ؛ لشمول اسم الشيء لها ، وعموم تسمية الأشياء به ، فنسألهم : أتقولون إن الله موجود ؟ فإن قالوا : «نعم» ، قيل لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين ، وإن قالوا : «موجود» ، ولا يوجب وجوده الاشتباه بينه ، وبين الموجودات» ، قلنا : فكذلك ؛ هو : حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم ؛ يعني : ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات" (١) .

وَيَقُولُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣) : "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن ، والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع ، والجهمية ، والمعتزلة كلها ، والخوارج ؛ فكلهم ينكرها ، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه" (٢) .

وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : "وكذلك قولنا في وجهه تبارك ، وتعالى ، ويديه ، وسمعه ، وبصره ، وكلامه ، واستوائه ، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات ، وحقائقها ؛ كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الكمال ؛ من فهم معنى الصفة ، وتحقيقها ؛ فإن من أثبت له سبحانه السمع ، والبصر أثبتهما حقيقة ، وفهم معناهما ؛ فهكذا سائر صفاته المقدسة ، يجب أن تجري هذا الجرى ، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها ، وكيفيةها ؛ فإن الله سبحانه لم يكلف عباده بذلك ، ولا أرادهم منهم ، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً ، بل كثير من مخلوقاته ، أو أكثرها

(١) العلو ؛ للذهبي ، ص : (٢٦٤) .

(٢) التمهيد (١٤٥/٧) .

لم يجعل لهم سبيلاً إلى معرفة كنهه ، وكيفيته ، وهذه أرواحهم التي هي أدنى إليهم من كل دان قد حجب عنهم معرفة كنهها ، وكيفيتها ، وجعل لهم السبيل إلى معرفتها ، والتمييز بينها ، وبين أرواح البهائم ، وقد أخبرنا سبحانه عن تفاصيل يوم القيامة ، وما في الجنة ، والنار ؛ فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان ، وشاهدته عقولهم ، ولم يعرفوا كيفيته ، وكنهه ؛ فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهاراً من خمر ، وأنهاراً من عسل ، وأنهاراً من لبن ، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ، ومادته ، وكيفيته ؛ إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب ، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها ، واللبن إلا ما خرج من الضروع ، والحزير إلا ما خرج من فم دود القز ، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلاً لما في الدنيا ؛ كما قال ابن عباس : «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الآخِرَةِ إِلَّا الأَسْمَاءُ»^(١) ، ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به من ذلك ؛ فهكذا الأسماء ، والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ، ومثالها من فهم حقائقها ، ومعانيها ...^(٢) ،

ومن أوضح نصوص الأئمة الصريحة ؛ والتي تبين أنهم يريدون حقيقة المعنى في نصوص صفات الله تعالى - بلا تأويل ، ولا تفويض ، ولا تشبيه ، ولا كيفية- ما جاء عنهم في صفتي : علو الله على خلقه ، وكلامه جل ، وعلا ؛ ففي :

صِفَةُ الْعُلُوِّ :

قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩هـ) : "الله عز وجل في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، وتلا هذه الآية : { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } [المجادلة: ٧] ، وعظم عليه الكلام في هذا ، واستشنعه"^(٣) .

وَقَالَ الإِمَامُ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١هـ) - كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا عز وجل؟ قال : على السماء السابعة ، على عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض"^(٤) .

(١) أخرجه البيهقي في كتاب : "البعث والنشور" (٩٠٦) .

(٢) الصواعق المرسله (٢/٤٢٦-٤٢٨) .

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١١) .

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (٢٢) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١هـ) - وقد سئل : الله عز وجل فوق السماء السابعة ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته ، وعلمه في كل مكان ؟ - قال : نعم ، على العرش ، وعلمه لا يخلو منه مكان" (١) ،

وَقَالَ ابْنُ بَطَّةَ الْعَكْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٧هـ) : "أجمع المسلمون ؛ من الصحابة ، والتابعين ، وجميع أهل العلم من المؤمنين : أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، فوق سمواته ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، ولا يأبى ذلك ، ولا ينكره إلا من انتحل مذاهب الحلولية ، وهم قوم زاغت قلوبهم ، واستهوتهم الشياطين ، فمرقوا من الدين ، وقالوا : إن الله ذاته لا يخلو منه مكان" (٢) ،

وَفِي صِفَةِ الْكَلَامِ :

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى (ت: ٢٩٠هـ) : "سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون : لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت ؟ فقال أبي : بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت ، هذه الأحاديث نروها كما جاءت" (٣) ،

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٦هـ) : "وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ينادي بصوتٍ يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب ، فليس هذا لغير الله جل ذكره ، وفي هذا -يعني: حديث عبد الله بن أنيس المتقدم ذكره- دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ؛ لأنَّ صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، وأنَّ الملائكة يصعقون من صوته ؛ فإذا تنادى الملائكة ؛ لم يصعقوا" (٤) .

وَرَوَى الْحَلَّالُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ت: ٣١١هـ) بسنده ، عن صالح بن أحمد بن حنبل رحمه الله ، قال : سمعت أبي ، والمعنى واحد ، يقول : "افتترقت الجهمية على ثلاث فرق ، فرقة قالوا : القرآن مخلوق ، وفرقة قالوا : كلام الله ونسكت ، وفرقة قالوا : ألفاظنا مخلوقة" ، زاد صالح بن أحمد عن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ؛ للالكائي (٦٧٤) .

(٢) الإبانة الكبرى (١٣٦/٧) .

(٣) السنة ؛ لعبد الله بن الإمام أحمد (٥١٨) .

(٤) خلق أفعال العباد ، ص : (١٤٩) .

أبيه ، قال : "وقال الله في كتابه : { فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } [التوبة: ٦] ، فجبريل سمعه من الله عز وجل ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل صلى الله عليه وسلم ، وسمعه أصحاب النبي من النبي ، فالقرآن كلام الله ، غير مخلوق" (١) .

وَيَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ السَّجْزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٤٤) : "ينبغي أن ينظر في كتب من درج ، وأخبار السلف ؛ هل قال أحد منهم : إن الحروف المتسقة التي يتأتى سماعها ، وفهمها ليست بكلام الله سبحانه على الحقيقة ؟ وأن الكلام غيرها ، ومخالف لها ، وأنه معنى لا يدرى ما هو ، غير محتمل شرحاً ، وتفسيراً ؟ فإن جاء ذلك عن أحد من الأوائل ، والسلف ، وأهل النحل قبل مخالفينا الكلابية ، والأشعرية عذروا في موافقتهم إياه ، وإن لم يرد ذلك عن سلف من القرون ، والأمم ، ولا نطق به كتاب منزل ، ولا فاه به نبي مرسل ، ولا اقتضاه عقل علم جهل مخالفينا ، وإبداعهم ، ولن يقدر أحد في علمي على إيراد ذلك عن الأوائل ، ولا اتخاذه إياه ديناً ، في أثر ، ولا عقل ... ، فقول خصومنا : إن أحداً لم يقل إن القرآن كلام الله حرف ، وصوت كذب ، وزور ، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك ، وإذا أوردنا فيه المسند ، وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك صار كالإجماع" (٢) ،

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "واستفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، والتابعين ومن بعدهم من أئمة السُّنَّة ؛ أنه سبحانه ينادي بصوت ؛ نادى موسى ، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت ، أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت ، أو بحرف ؛ كما لم يقل أحد منهم إن الصوت الذي سمعه موسى قديم ، ولا إن ذلك النداء قديم ... ، وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية ، كما قال الإمام أحمد لما سئل عن من قال إن الله لا يتكلم بصوت ؟ فقال : هؤلاء جهمية ، إنما يدورون على التعطيل ، وذكر بعض الآثار المروية في أنه سبحانه يتكلم بصوت" (٣) ،

(١) السنة ؛ للخلال (١٧٧٩) .

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ، ص : (٢١٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٢) .

وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ : "والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا ، ولا يعقل في لغة العرب لفظ

النداء بغير صوت مسموع ؛ لا حقيقة ، ولا مجازًا"^(١) ،

وإثبات الصفات على حقيقتها لا يلزم منه تجسيم المشبهة ؛ لأن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، وإنما يثبتون له ما أثبتته لنفسه من صفات ، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتًا حقيقياً ، بلا تمثيل ، ولا تكيف ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، ومن سوى بين المعنى ، والكيفية فقد ضل سواء السبيل ، وما أتى أهل الأهواء -في هذا الباب خاصة- إلا من جهلهم ، أو تعصبهم ، وتقليدهم الأعمى ، وإلا فإن الصغير قبل الكبير -من أهل الفطر السوية النقية- يعلمون أن بين الخالق ، والمخلوق قدرًا مشتركًا من الألفاظ ؛ لكن للخالق معناه الذي يليق به ، وللمخلوق معناه الذي يليق به ؛ "فإذا كان القدر المشترك الذي اشتركا فيه صفة كمال ؛ كالوجود ، والحياة ، والعلم ، والقدرة ، ولم يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين ، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق ، لم يكن في إثبات هذا محذور أصلاً ، بل إثبات هذا من لوازم الوجود ، فكل موجودين لا بد بينهما من مثل هذا ، ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود ؛ ولهذا لما اطلع الأئمة على أن هذا حقيقة قول الجهمية سموهم معطلّة ... ، والمعاني التي يوصف بها الرب سبحانه ، وتعالى ؛ كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، بل الوجود ، والثبوت ، والحقيقة ، ونحو ذلك تجب له لوازمها ؛ فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ، وخصائص المخلوق التي يجب تنزيهه الرب عنها ليست من لوازم ذلك أصلاً ، بل تلك من لوازم ما يختص بالمخلوق ؛ من وجود ، وحياة ، وعلم ، ونحو ذلك ، والله سبحانه ، وتعالى منزّه عن خصائص المخلوق ، وملزومات خصائصه"^(٢) ، "والمقصود هنا أن أهل السنة متفقون على أن الله ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولكن لفظ التشبيه في كلام الناس لفظٌ مجمل ، فإن أراد بنفي التشبيه ما نفاه القرآن ، ودل عليه العقل فهذا حق ، فإن خصائص الرب لا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته ، ... ، وإن كان أراد بالتشبيه أنه لا يثبت لله شيء من الصفات ، فلا يقال له علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، لأن العبد موصوف بهذه

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٣٠) .

(٢) التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ص : (١٢٦) .

الصفات ، فيلزم ألا يقال له : حي ، عليم ، قدير لأن العبد يسمى بهذه الأسماء ، وكذلك في كلامه ، وسمعه ، وبصره ، ورؤيته وغير ذلك" (١) .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٨هـ) : "علامة جهنم ، وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة ، وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة ، بل هم المعطلة ، ولو جاز أن يقال لهم هم المشبهة لاحتمل ذلك ، وذلك أنهم يقولون : إن الرب تبارك وتعالى في كل مكان بكماله في أسفل الأرضين ، وأعلى السماوات على معنى واحد ، وكذبوا في ذلك ، ولزمهم الكفر" (٢) .

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤هـ) : "المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عز وجل التي وصف الله بها نفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات ، ويتأولونها بآرائهم المنكوسة ، على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة ، وينسبون روايتها إلى التشبيه ، فمن نسب الواصفين ربه تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه ، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ، ولا تشبيه إلى التشبيه فهو معطل نافٍ ، ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية" (٣) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨٠هـ) "فهذه الأحاديث قد جاءت كلها ، وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن ، وعلى تصديقها ، والإيمان بها أدركنا أهل الفقه ، والبصر من مشايخنا ، لا ينكرها منهم أحد ، ولا يمتنع من روايتها ، حتى ظهرت هذه العصاة الجهمية فعارضت آثار رسول الله برد ، وتشمروا لدفعها بجد ، فقالوا : «كيف نزوله هذا؟» ، قلنا : لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا ، ولا تعقله قلوبنا ، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبهه منه فعلاً ، أو صفة بفعالهم ، وصفتهم" (٤) .

(١) منهاج السنة النبوية ؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١١٠/٢-١١١) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ؛ للالكائي (٩٣٨) .

(٣) الحجّة في بيان المحجّة ؛ لقوام السنة (٢٠٢/١-٢٠٣) .

(٤) الرد على الجهمية ؛ للدارمي (١٤٧) .

وَقَالَ ابْنُ حُرَيْمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١١ هـ): "وزعمت الجهمية -عليهم لعائن الله- أن أهل السنة ومتبعي الآثار ، القائلين بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله ، المثبت بين الدفتين ، وعلى لسان نبيه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه مشبهةً ، جهلاً منهم بكتاب ربنا ، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم بلغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا ، ... ، فاسمعوا الآن أيها العقلاء ، ما نذكر من جنس اللغة السائرة بين العرب ، هل يقع اسم المشبهة على أهل الآثار ، ومتبعي السنن؟! "

نحن نقول ، وعلمائنا جميعاً في جميع الأقطار : إن لمعبودنا عز وجل وجهاً ؛ كما أعلمنا الله في محكم تنزيله ، فدواه بالجلال ، والإكرام ، وحكم له بالبقاء ، ونفى عنه الهلاك ، ونقول : إن لوجه ربنا عز وجل من النور ، والضياء ، والبهاء ما لو كشف حجابهُ لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ، محجوب عن أبصار أهل الدنيا ، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية ، ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقياً ، فنفى عنه الهلاك والفناء ، ونقول : إن لبني آدم وجوهاً كتب الله عليها الهلاك ، ونفى عنها الجلال ، والإكرام ، غير موصوفة بالنور ، والضياء ، والبهاء التي وصف الله بها وجهه ، تدرك وجوه بني آدم أبصار أهل الدنيا ، لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها ، لنفي السبحات عنها ، التي بينها نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم لوجه خالقنا ، ونقول : إن وجوه بني آدم محدثة مخلوقة ، لم تكن ، فكونها الله بعد أن لم تكن مخلوقة ، أوجدها بعد ما كانت عدماً ، وإن جميع وجوه بني آدم فانية ، غير باقية ، تصير جميعاً ميتاً ، ثم تصير رميماً ، ثم ينشئها الله بعد ما قد صارت رميماً ، فتلقى من النشور ، والحشر ، والوقوف بين يدي خالقها في القيامة ، ومن المحاسبة بما قدمت يداها ، وكسبه في الدنيا ما لا يعلم صفته غير الخالق البارئ ، ثم تصير إما إلى جنة ، منعمة فيها ، أو إلى النار معذبة فيها ، فهل يخطر يا ذوي الحجا ببال عاقل مركب فيه العقل ، يفهم لغة العرب ، ويعرف خطابها ، ويعلم التشبيه ، أن هذا الوجه شبيه بذاك الوجه ؟ وهل ها هنا أيها العقلاء تشبيه وجه ربنا جل ثناؤه الذي هو كما وصفنا ، وبيننا صفته من الكتاب ، والسنة بتشبيه وجوه بني آدم ، التي ذكرناها ، ووصفناها ؟ غير اتفاق اسم الوجه ، وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم ، كما سمي الله وجهه وجهاً ،

نحن نثبت لخالقنا جل وعلا صفاته التي وصف الله عز وجل بها نفسه في محكم تنزيله ، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما ثبت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ، ونقول كلاماً مفهوماً موزوناً يفهمه كل عاقل ، نقول : ليس إيقاع اسم الوجه للخالق البارئ بموجب عند ذوي الحجا ، والنهي أنه يشبه وجه الخالق بوجهه بني آدم ، قد أعلمنا الله جل وعلا في الآي التي تلونها قبل أن الله وجهاً ذواه بالجلال ، والإكرام ، ونفى الهلاك عنه ... ، ولو لزم -يا ذوي الحجا- أهل السنة ، والآثار إذا أثبتوا لمعبودهم يدين كما ثبتهما الله لنفسه ، وثبتوا له نفساً عز ربنا وجل ، وإنه سميع ، بصير ، يسمع ، ويرى ، ما ادعى هؤلاء الجهلة عليهم أنهم مشبهة للزم كل من سمى الله ملكاً ، أو عظيماً ، ورؤوفاً ، ورحيماً ، وجباراً ، ومتكبراً أنه قد شبه خالقه عز وجل بخلقه ، حاشا لله أن يكون من وصف الله عز وجل بما وصف الله به نفسه في كتابه ، أو على لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مشبهاً خالقه بخلقه ... " (١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَثْمَانَ الصَّابُؤِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٩٤ هـ) : "أصحاب الحديث - حفظ الله تعالى أحياءهم ، ورحم أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، ولرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه ، وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلت العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله ما أثبتته لنفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : إنه خلق آدم بيديه كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي } [ص: ٧٥] ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ بحمل اليدين على نعمتين ، أو القوتين ؛ تحريف المعتزلة ، والجهمية -أهلكهم الله- ولا يكيّفونهما بكيف ، أو شبهها بأيدي المخلوقين ؛ تشبيه المشبهة -خذلهم الله- وقد أعاد الله تعالى أهل السنة من التحريف ، والتشبيه ، والتكليف ، ومنّ عليهم بالتعريف ، والتفهم ، حتى سلكوا سبل التوحيد ، والتنزيه ، وتركوا القول بالتعطيل ، والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١] " (٢) .

(١) التوحيد ؛ لابن خزيمة (٥١/١) .

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ؛ للصابوني ، ص : (٢) .

وَقَالَ قَوْمُ السُّنَّةِ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٣٥هـ) : "الكلام في صفات الله عز وجل ما جاء منها في كتاب الله ، أو روي بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمذهب السلف -رحمة الله عليهم أجمعين- إثباتها ، وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية عنها ... ونقول : إنما وجب إثباتها -أي : الصفات- ؛ لأن الشرع ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١]"^(١) .

وأما كلامه عن : "الجسم" ، والجارحة" ؛ فهو ناقص ، غير تمام ، بل يظهر فيه لمز السلفيين ، أهل الإثبات بأنهم من المجسمة المشبهة ، والقول الفصل في ضبط هذه المسألة أن نقول : إن لفظ الجسم -ومثله لفظ : "الجارحة"- من الألفاظ المحدثة ، التي لم ترد في الكتاب ، ولا السنة ، وأما معناهما فإنه مجمل ، يجب أن يتحقق من المراد منه من قبل القائل به ؛ فإن أراد به معنى باطلاً رد ، وإن أراد به معنى صحيحاً قبل^(٢) ،

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨هـ) : "وأما الشرع ؛ فالرسل ، وأتباعهم الذين من أمة موسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يقولوا : إن الله جسم ، ولا إنه ليس بجسم ، ولا إنه جوهر ، ولا إنه ليس بجوهر ، لكن النزاع اللغوي ، والعقلي ، والشرعي في هذه الأسماء هو بما أحدث في الملل الثلاث ، بعد انقراض الصدر الأول ..."^(٣) ،

وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : "فيقال لمن سأل بلفظ الجسم : ما تعني بقولك ؟ أتعني بذلك أنه من جنس شيء من المخلوقات ؟ فإن عنيت ذلك ؛ فالله تعالى قد بين في كتابه : أنه لا مثل له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، وقال : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ } [النحل: ١٧] ، فالقرآن يدل على أن الله لا يماثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإن كنت تريد بلفظ الجسم ما يتضمن مماثلة الله لشيء من المخلوقات ، فالله منزّه عن ذلك ، وجوابك في القرآن ، والسنة ، وإذا كان الله ليس من جنس الماء ، والهواء ، ولا الروح المنفوخة فينا ، ولا من جنس الملائكة ، ولا الأفلاك ، فلأن لا يكون من جنس بدن الإنسان ، ولحمه ، وعصبه ، وعظامه ،

(١) الحجة في بيان المحجة ؛ لقوام السنة (١٨٨/١) .

(٢) وعليه نحمل قول الأئمة رحمهم الله -الذي أوردها المؤلف ، في ص : (٣٨-٤٥)- إن صح ما نقل عنهم .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٤٣٢) .

ويده ، ورجله ، ووجهه ، وغير ذلك ؛ من أعضائه ، وأبعاضه أولى ، وأحرى ، فهذا الضرب ، ونحوه مما قد يسمى تشبيهاً ، وتجسيماً ، كله منتف في كتاب الله ، وليس في كتاب الله آية واحدة تدل ؛ لا نصاً ، ولا ظاهراً على إثبات شيء من ذلك لله ، فإن الله إنما أثبت له صفات مضافة إليه ، كقوله : { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } [البقرة: ٢٥٥] ، و : { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } [الذاريات: ٥٨] ، و { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ } [ص: ٧٥] ، { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ } [الرحمن: ٢٧] ، { وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر: ٦٧] ، كما قال : { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } [المائدة: ١١٦] ، ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدسة الموصوفة بصفات الكمال ليست مثل نفس أحد من المخلوقين... وإن عנית بلفظ الجسم : الموصوف بالصفات القائم بنفسه المباين لغيره ، الذي يمكن أن يشار إليه ، وترفع إليه الأيدي فلا ريب أن القرآن قد أخبر أن الله له العلم ، والقوة ، والرحمة ، والوجه ، واليدان ، وغير ذلك ، وأخبر أنه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، وأنه : { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الأعراف: ٥٤] ، وأنه : { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج: ٤] ، فالقرآن مملوء من بيان علوه على خلقه ، والصعود إليه ، والنزول منه ، ومن عنده ، وإثبات علمه ، ورحمته ، وغير ذلك من صفاته ، وإذا سميت ما هو كذلك جسمًا ، وسئلت : هل هم جسم ؟ كان الجواب : أن المعنى الذي سئلت عنه ، وأردته بهذا اللفظ قد بينه الله ، وأثبتته في كتابه ، وأما إطلاق لفظ الجسم على الله : فهو كإطلاق الفلاسفة لفظ العقل ، ونحو ذلك ، وهذه العبارات في لغة العرب تتضمن معاني ناقصة ؛ ينزه الله عنها ، فالعقل هو المصدر ؛ الذي هو عرض ، والله سبحانه منزّه عن ما هو فوق ذلك ، بل نفس تسميته عاقلاً ، ليس معروفاً في شرع المسلمين ، فقد تبين أن ما يعني بلفظ الجسم من تمثيل الله بخلقه ، ووصفه بالنقائص فقد بين الله في كتابه أنه منزّه عنه ، وما يعني به من إثبات أنه قائم بنفسه ، مباين لخلقه ، عال عليهم ، يرفعون إليه أيديهم عند الدعاء ، ويعرج إليه بنبيه ليلة الإسراء ، موصوف بصفات الكمال ، منزّه عما يستلزم العدم ، والإبطال فقد بين الله في كتابه إثباته لنفسه ، فلا يقال : إنه ليس في القرآن جواب هذا السؤال... " (١)

(١) درء التعارض (٣٦٣/٥) .

وَقَدْ حَانَ الْمُؤَلِّفُ الْأَمَانَةَ عِنْدَمَا سَرَدَ جُمْلَةً مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ يُظْهِرُ فِيهَا أَنَّ السَّلْفَ قَائِلُونَ بِتَفْوِيضِ صِفَاتِ اللَّهِ ^(١)، وَتَأْوِيلِهَا، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا خَلَّافٌ ذَلِكَ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْمَتَقَرَّرِ عِنْدَ الثَّقَاتِ؛ أُولَى الْإِخْلَاصِ، وَالنِّزَاهَةِ، أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ إِلَى الْمَحْكَمَاتِ مِنْهَا، لِتَتَجَلَى الْحَقِيقَةُ وَاضِحَةً، وَلَمْ يَفْعَلِ الْمُؤَلِّفُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، بَلْ انْتَقَى مِنْ أَقْوَالِهِمُ الْمَجْمَلَةَ انْتِقَاءً تَوَافِقُ مَا يَهْوَاهُ، وَتَمِيلُ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ، وَأَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّ السَّلْفَ عَقِيدَتُهُمْ فِي صِفَاتِ اللَّهِ: التَّأْوِيلُ، أَوْ التَّفْوِيضُ، وَهَذَا - لِعَمْرِ اللَّهِ - كَذِبٌ عَلَيْهِمْ؛ فَ:

مِمَّا أوردَهُ عَنْهُمْ قَوْلُهُمْ: "نَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ، بَلَا كَيْفٍ، وَلَا مَعْنَى"، فَزَعَمَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّ هَذَا مِنْهُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَفْوِضُونَ الصِّفَاتَ، وَهَذَا - وَلَا رَيْبَ - زَعَمَ بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ السَّلْفَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ إِنَّمَا أَرَادُوا مِنْ قَوْلِهِمْ: "نَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ، بَلَا كَيْفٍ، وَلَا مَعْنَى"؛ أَي: إِنَّا نُوْمنُ بِصِفَاتِ اللَّهِ، وَنُصَدِّقُ بِهَا، وَلَا كَيْفٍ، وَلَا مَعْنَى يَخَالِفُ ظَاهِرَهَا، عَلَى نَحْوِ مَا أَوْلَتْ بِهِ الْمَعْطَلَةُ يَدَ اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ، وَكَلَامَهُ بِالْكَلامِ النَّفْسِيِّ، وَنَزُولَهُ بِنَزُولِ أَمْرِهِ، وَاسْتَوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ بِالْإِسْتِيْلَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ نِصُوصِ الصِّفَاتِ، بَلْ نَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ، وَهَذِهِ النِّصُوصُ إِنَّمَا جَاءَتْ حِينَ جَاءَتْ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمَبِينِ، الْفَصِيحِ، الْمَعْقُولِ، الْمَفْهُومِ، بِخِلَافِ كَيْفِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ هِيَ صِفَاتُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ؛ هَذَا اعْتِقَادُ السَّلْفِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ، أَمَّا الْمَخَالِفُونَ، الْمَخْتَلِفُونَ فَقَدْ عَطَلُوهَا بِ: التَّعْطِيلِ، أَوْ التَّشْبِيهِ، أَوْ التَّأْوِيلِ، أَوْ التَّفْوِيضِ، فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قَلَنَاهُ هُنَا:

قَوْلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٦هـ): "الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَهِيَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ حَيْثُ انْتَهَى فِي صِفَتِهِ، أَوْ حَيْثُ انْتَهَى رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَزِيلَ اللَّفْظِ عَمَّا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ، وَتَضَعُهُ عَلَيْهِ، وَنَمْسُكُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ" ^(٢).

وَقَوْلُ أَبِي طَاهِرِ الْكَرْجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ت: ٤٨٩هـ): "وَكُلُّ صِفَةٍ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ فَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لَا مَجَازِيَّةٌ" ^(٣).

(١) انظر الكتاب، ص: (٥٠-٥١)

(٢) الاختلاف في اللفظ، والرد على الجهمية؛ ص: (٤٤).

(٣) الاعتقاد القادري؛ ص: (٢٤٧).

وَقَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٣٥هـ) - وقد سئل عن صفات الله تعالى - فقال : "مذهب مالك ، والثوري ، والأوزاعي ، والشافعي ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وإسحاق بن راهويه : أن صفات الله التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ؛ من السمع ، والبصر ، والوجه ، واليدين ، وسائر أوصافه ، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور ، من غير كيف يتوهم فيه ، ولا تشبيهه ، ولا تأويل ، قال سفيان بن عيينة : « كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره » ، أي : على ظاهره ، لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل" (١) ،

قَوْلُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه ، وأنه لا يسكت عن بيانه ، وتفسيره ، بل يبين ، ويفسر باتفاق الأئمة ، من غير تحريف له عن مواضعه ، أو إلحاد في أسماء الله ، وآياته" (٢) .

وَقَالَ - أَيْضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ : "والمنتسبون إلى السنة من الحنابلة ، وغيرهم الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين - يعني : النفي ، والإثبات في صفات الله تعالى - يتمسكون بما يجدونه في كلام الأئمة في المتشابه ؛ مثل قول أحمد - في رواية حنبل - « لا كيف ، ولا معنى » ، ظنوا أن مراده أننا لا نعرف معناها ، وكلام أحمد صريح بخلاف هذا في غير موضع ، وقد بين أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية ، ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله ، وصنف كتابه في : «الرد على الزنادقة ، والجهمية فيما أنكرته من متشابه القرآن ، وتأولته على غير تأويله» ، فأنكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ، ورسوله ، وهم إذا تأولوه يقولون : معنى هذه الآية كذا ، والمكيفون يثبتون كيفية ؛ يقولون : إنهم علموا كيفية ما أخبر به من صفات الرب ؛ فنفي أحمد قول هؤلاء ، وقول هؤلاء قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية ، وقول المحرفة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : معناه كذا ، وكذا" (٣) ،

(١) انظر : العرش للذهبي (٢/ ٤٥٩ - ٤٦٠) ، والعلو له ؛ ص : (١٩٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩٥/١٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٦٣/١٧) .

ومن المحكمات في ذلك من أقوال الأئمة الأثبات - والتي يجب رد المتشابهة إليها - ما تقدم في صفتي العلو ، والكلام^(١) ، ونزيد هنا ما :

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٠هـ) : "وله يد ، ووجه ، ونفس ؛ كما ذكره الله تعالى في القرآن ، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه ، واليد ، والنفس فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرته ، أو نعمته ؛ لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر ، والاعتزال ، ولكن يده صفته ، بلا كيف ، وغضبه ، ورضاه صفتان من صفاته تعالى ، بلا كيف"^(٢) .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "مَنْ قَالَ : لَا أَعْرِفُ رَبِّي ؛ فِي السَّمَاءِ ، أَمْ فِي الْأَرْضِ ، فَقَدْ كَفَرَ ، وَكَذَا مَنْ قَالَ : إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ ، وَلَا أَدْرِي الْعَرْشَ ؛ أَيْ السَّمَاءِ ، أَمْ فِي الْأَرْضِ"^(٣) ،

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩هـ) ، -وقد سأله رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [سورة طه: ٥] كيف استوى ؟ - قال : "الكيف منه غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأظنك صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج"^(٤) .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "الله عز وجل في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، وتلا هذه الآية : { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } [المجادلة: ٧]"^(٥) .

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤هـ) : "القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها ؛ أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخذت عنهم ؛ مثل : سفيان ، ومالك ، وغيرهما : الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه ، في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا ؛ كيف شاء"^(٦) ،

(١) ارجع إليها في ص : (٦-٩) .

(٢) الفقه الأيسر ، ص : (٤٩) .

(٣) الفقه الأكبر ، ص : (٣٠٢) .

(٤) عقيدة السلف ؛ أصحاب الحديث ، ص : (١٧-١٨) ، والتمهيد ؛ لابن عبد البر (١٥١/٧) .

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد (١١) .

(٦) العلو ؛ للذهبي ، ص : (١٢٠) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١ هـ) - وقد سأله ابنه عبد الله عن قوم يقولون : لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت ؟ - فقال : بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت ، هذه الأحاديث نروها كما جاءت" (١) ،

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ - وقيل له : والله تعالى فوق السماء السابعة ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته ، وعلمه بكل مكان ؟ - قال : نعم ، على عرشه ، لا يخلو شيء من علمه" (٢) ،
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : - وقد سئل : ما تقول فيمن يقول : إن الله ليس على العرش ؟ - قال : كلامهم كله يدور على الكفر" (٣) .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : "من زعم أن يديه نعمته فكيف يصنع بقوله : ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] مشددة" (٤) .

وَأَمَّا مَا أوردَهُ الْمُؤَلِّفُ مِنْ نُقُولٍ عَنِ السَّلَفِ - رحمهم الله تعالى - تبين أنهم يؤولون بعض الصفات ، فهذا منه من أبطل الباطل ، وذلك للأسباب التالية :

السَّبَبُ الْأَوَّلُ : ما تقدم من نقول مستفيضة عن السلف أنهم يجرون معاني الصفات على ظاهرها الحقيقي ، ويبعدون من عطَّلها ، أو حرَّف معانيها ، وهذا منهم إجماع ، وقد نقلنا إجماعهم في ذلك .

السَّبَبُ الثَّانِي : ما يعلم من أن بعض الآثار التي نقلت عن السلف في تأويل بعض الصفات ضعيف ؛ كضعف تفسير ابن عباس رضي الله عنه للكرسي بالعلم ، والإتيان بإتيان الأمر .

السَّبَبُ الثَّلَاثُ : ما يعلم من السلف قد يفسرون الصفة بآثارها ، ودلالة اللازم منها ، بعد إثباتهم للمعنى الحقيقي ، وربما يكون هذا هو السبب في أن ابن عباس رضي الله عنه - وغيره من السلف - فسر الساق في قوله تعالى : {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم: ٤٢] بالشدة ؛ تفسير منهم للصفة باللازم ؛ لأن الأمر يوم القيامة يوم كرب ، وشدة .

(١) السنة ؛ لعبد الله بن الإمام أحمد (٥١٨) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ؛ للالكائي (٦٧٤) .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ؛ لابن القيم ، ص : (٩٢) .

(٤) مسائل الميموني (٢٧) .

السَّبَبُ الرَّابِعُ : ما يعلم من أن بعض ما فسره السلف -رحمهم الله تعالى - لا يدخل في باب الصفات ، ومن أمثلته : قوله تعالى : { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } [الذاريات: ٤٧] ؛ فإن الأيد هنا ليس هو جمعاً لليد ، بل هو من الأيدِ ، والآدِ ؛ أي : القوة^(١) .
 ومن أمثلته -أيضاً- ما جاء -في الآية السابقة- في قوله تعالى : { يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ } [القلم: ٤٢] ؛ فلعل ابن عباس رضي عنه -لما فسر الساق بالشدة- لم يعد الآية من آيات الصفات أصلاً ؛ وذلك لأنه لم يبلغه الحديث المصرح فيه أن الآية من آيات الصفات^(٢) .
 فهذه أسباب أربعة ، لا يخرج عنها - إن شاء الله- ما ادعاه المؤلف من أن السلف يؤولون صفات الله تعالى^(٣) .
 يَتَّبِعُ ...

(١) انظر : لسان العرب (٧٦/٣) .

(٢) وذلك في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يُكْشَفُ رُئْنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، وَمُؤْمِنَةٍ ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً ، وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا" [رواه البخاري (٤٩١٩)] .

(٣) انظر في الكتاب ص : (٥٥-٥٥) .